- أَصحَابَ المَعَالِي.
- صَاحِبَ الفَضِيلَةِ الإِمَامَ الأَكبَر.
- الضُّيُوفُ الأَجِلَّاءُ وَأَصحَاب الفَضِيلَةِ.

أَعرِفُ أَنَّهُ لَيسَ مِنَ اليَسِيرِ أَن أَتَحَدَّثَ الآنَ بَعدَ يَومٍ طَوِيلٍ مِنَ المُنَاقَشَاتِ الهَامَّةِ؛ وَلَكِنَّنِي أَوَدُّ أَن أَنتَهِزَ هَذِهِ الفُرصَةَ، لَيسَ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ المَرَّةُ الأُولَى لِي فِي هَذِهِ المَدِينَةِ الرَّائِعَةِ القَاهِرَةِ، وَهُنَا أَوَدُّ أَن أَتَقَدَّمَ بِشُكرِي وَامتِنَانِي لِلمُنَظِّمِينَ لِهَذَا المُؤتَمَرِ، وَأَنتَظِرُ تَبَادُلَ الخِبرَاتِ مَعَ المُنَظِّمِينَ لِهَذَا المُؤتَمَرِ وَالآرَاءِ وَالاستِفَادَةَ مِنهَا.

وَأَوَدُّ كَذَلِكَ أَن أَتَقَدَّمَ بِالشُّكرِ كَذَلِكَ إِلَى المُنَظَّمَةِ لِدَعمِنَا، وَدَعنِي صَاحِبَ الفَضِيلَةِ الإِمَامَ الأَكبَرَ أَن أَتَقَدَّمَ بِالشُّكرِ إِلَى كُلِّ مَن عَمِلُوا بِجِدٍّ كَي نَشعُرَ نَحنُ بِالرَّاحَةِ بِالعَمَلِ فِي هَذَا المُؤتَمَرِ، كُلُّ هَؤُلَاءِ الأَفرَادِ الَّذِينَ قَدَّمُوا الخِدمَاتِ لَنَا، وَالتَّرحِيبَ بِنَا كَي نَعمَلَ هُنَا سَوِيًّا بِشَكلٍ يَسِيرٍ.

السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ الأَعِزَّاءُ:

الرّادِيكَالِيَّةُ أَو التَّطَرُّفُ وَالإِرهَابُ، تَبدُو وَكَأَنَّهَا أَحَدُ التَّحَدِّيَّاتِ الحَقِيقِيَّةِ أَمَامَنَا اليَومَ، وَأَحَدُ المَخَاطِرِ المُحتَمَّةُ، وَالعُنفُ يَنتُجُ عَنِ العُنفِ، وَأَخطَارٌ طَوِيلَةُ الأَمَدِ، فِي الوَاقِعِ كَذَلِكَ، فَإِنَّ كَذَلِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ هِيَ أَحَدُ أَشكَالِ العُنفِ وَالتَّهدِيدِ، وَيَتَوَلَّدُ عَنهُ التَّطَرُّفُ والعُنفُ وَالتَّهدِيدُ وَالكَرَاهِيَّةُ عَبرَ التَّارِيخِ.

إِضَافَةً إِلَى هَذَا، هُنَاكَ أَوجُهُ التَّشَابُهِ فِيمَا يَخُصُّ هَيكَلَ الرَّادِيكَالِيَّةِ وَالإِرهَابِ، فَإِنَّهَا كُلَّهَا كَذَلِكَ تَتَمَاثَلُ فِي المُحتَوَى، وَتَدعَمُ وَتَخدمُ انتِمَاءَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَأَيدُولُوجِيَّةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَتَنَافَسُ فِيمَا بَينَهَا بِالنِّسبَةِ لِلأَدَوَاتِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي يَستَخدِمُونَهَا فِي استِهدَافِ الآخَرِ، وَفِي الوَاقِعِ فَإِنَّهَا تُحَاوِلُ إِسَاءَةَ استِخدَامِ الاختِلَافَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالمُعتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ، مِمَّا يُشَكِّلُ حَسَاسِيَةً كُبرَى عَلَى البَشَرِ، بَينَمَا فِي الوَاقِعِ فَإِنَّهَا تُحَاوِلُ- تِلكَ الجَمَاعَاتُ- أَن تَستَغِلَّ التَّحَدِّيَّاتِ الاجتِمَاعِيَّةِ وَالاقتِصَادِيَّةِ لِلشُّعُوبِ، فَهِيَ تُغَذِّي بَعضَهَا بَعضًا، وَتَخدِمُ بَعضَهَا بَعضًا، وَبِالتَّالِي فَلَا بُدَّ وَأَن يَتِمَّ تَحلِيلُ تِلكَ التَّحَدِّيَّاتِ، وَنَعمَلُ عَلَى تَفكِيكِهَا مِن خِلَالِ هَذِهِ المُنتَدَيَاتِ وَالمنَصَّاتِ.

المُشَارِكُونَ الأَجِلَّاءُ:

أَوَدُّ أَن أُعطِيَكُم بَعضَ الأَمثِلَةِ لِكَي أُوَضِّحَ مَوقِفِي بِشَكلٍ جَلِيٍّ: إِنَّ بَلَدِي أَلبَانِيَا، وَالبَلقَانَ، وَهِيَ المِنطَقَةُ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا بَلَدِي مِنَ النَّاحِيَةِ الجُغرَافِيَّةِ، فَإِنَّهَا تُعَدُّ

مِثَالًا عَمَلِيًّا عَلَى التَّعَدُّدِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالتَّعَدُّدِيَّةِ فِي المُعتَقَدَاتِ، وَقَد مَرَّت مِنطَقَةُ البَلقَانِ بِتَجرِبَةٍ تَعكِسُ أُسلُوبَ الإِمبرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ وَالبِيزَنطِيَّةِ وَالإِمبرَاطُورِيَّةِ العُثمَانِيَّةِ العُظمَى، وَكَذَلِكَ التَّأثِيرَاتِ المُتَنَوِّعَةَ تَبعَثُ لِعِرقِيَّاتِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي هَذِهِ المِنطَقَةِ.
هَذِهِ المِنطَقَةُ (البَلقَانُ) يَتَوَاجَدُ بِهَا وُجُودٌ قَوِيٌّ لِلمُسلِمِينَ وَالمَسِيحِيِّينَ الكَاثُولِيكِ وَالأَرثُوذُوكسِ. وَقَد مَرَّتِ البَلقَانُ بِحُرُوبٍ مُدَمِّرَةٍ وَمَذَابِحَ وَإِبَادَةٍ جَمَاعِيَّةٍ وَتَطهِيرٍ عِرقِيٍّ، وَبَعِيدًا عَنِ الحَربِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ، فَقَد مَرَّت بِحُرُوبٍ سَبعٍ ضِمنَ بُلدَانٍ مُختَلِفَةٍ، وَقَدِ استَمَرَّت هَذِهِ الحُرُوبُ لِمَا يَقرُبُ مِن عِقدٍ مِنَ الزَّمَانِ؛ حَيثُ كَانَ هُنَاكَ رَفضٌ لِلثَّقَافَةِ وَالتَّنَوُّعِ الدِّينِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ مَا تَأَسَّسَت عَلَيهِ الكَرَاهِيَّةُ وَاندِلَاعُ الحَربِ، وَلَكِن لِحُسنِ الحَظِّ فَإِنَّ المَوقِفَ اليَومَ يَسُودُهُ السَّلَامُ وَالتَّفَاهُمُ، وَكَذَلِكَ التَّغَلُّبُ عَلَى الاتِّجَاهَاتِ الوَطَنِيَّةِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَقُومُ بِمُحَاوَلَاتِهَا بِدَفعِ الخِلَافِ الثَّقَافِيِّ وَاستِغلَالِ المُعتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَضمَنُ بَقَاءَهَا وَأَن تَكُونَ هُنَاكَ سَيطَرَةٌ عَلَى الرَّادِيكَالِيَّةِ وَالإِرهَابِ.
عَلَى الرَّغمِ مِن هَذَا، فَإِنَّ (البَلقَانَ) هِيَ جُزءٌ طَبِيعِيٌّ مِنَ القَارَّةِ الأُورُوبِّيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الجُغرَافِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مِن وِجهَةِ النَّظَرِ المَكَانِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ، وَلَقَد كَانَت فِي المَاضِي وَلَا تَزَالُ فِي الحَاضِرِ قِطعَةً -سِيَاسِيًّا وَاقتِصَادِيًّا- مُنعَزِلَةً عَنِ التَّطَوُّرِ الَّذِي يَحدُثُ فِي أُورُوبَّا، وَلَكِنَّ بَلَدِي ألبَانيَا -وَهِيَ بَلَدٌ صَغِيرٌ- قَد وَرِثَت تَعَايُشًا ثَقَافِيًّا مُتَمَيِّزًا وَتَفَاهُمًا فِي مَا بَينَ الأَديَانِ المُختَلِفَةِ.
وَفِيمَا يَخُصُّ المُعتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةَ فِي ألبَانيَا، فَإِنَّ الدِّيَانَةَ الإِسلَامِيَّةَ تُشَكِّلُ الغَالِبِيَّةَ، بَينَمَا هُنَاكَ كَذَلِكَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الجَالِيَاتِ الأَرثُوذُوكسِيَّةِ وَالكَاثُولِيكِيَّةِ، وَلَم يَحدُث فِي التَّارِيخِ أَن كَانَ هُنَاكَ نِزَاعٌ أَو خِلَافٌ أَو كَرَاهِيَةٌ بَينَ مُختَلَفِ الجَالِيَاتِ وَالطَّوَائِفِ الدِّينِيَّةِ، وَهَذَا تَقلِيدٌ عَبرَ القُرُونِ، تَقلِيدٌ رَائِعٌ، يَحتَذِي بِهِ الأَلبَانِيُّونَ - سَوَاءٌ أَكَانُوا مِنَ المُسلِمِينَ أَم المَسِيحِيِّينَ أَم غَيرِهِم- بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الدِّيَانَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ المُوَاطِنِينَ يَحتَفُونَ كَذَلِكَ بِاحتِفَالَاتِ المَسِيحِيِّينَ سَوَاءٌ كَانُوا كَاثُولِيكَ أَو أَرثُوذُوكسَ.
لَقَد كَانَ هُنَاكَ أُسَرٌ مُسلِمَةٌ آوَتِ الآلَافَ وَالآلَافَ مِنَ اليَهُودِ الَّذِينَ فَرُّوا مِن بُلدَانٍ أُخرَى، فَوَجَدُوا المَلَاذَ الآمِنَ مَعَ الأُسَرِ المُسلِمَةِ، وَمُنذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ فَقَط، فَإِنَّ المُقِيمِينَ فِي القُرَى الصَّغِيرَةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الغَالِبِيَّةُ مِنَ المُسلِمِينَ قَد آوَت هَؤُلَاءِ الفَارِّينَ.

وَلَكِن أَثنَاءَ الحَربِ فِي سُوريَا وَفِي العِرَاقِ وَاجَهَت ألبَانيَا ظَاهِرَةَ تَجنِيدِ المُجَاهِدِينَ المُتَطَرِّفِينَ، وَمِنَ الوَاضِحِ، فَإِنَّ الدَّولَةَ قَد عَالَجَتِ المَوقِفَ بِشَكلٍ جَيِّدٍ، وَلَكِنَّ نَتَائِجَ هَذَا المَوقِفَ لَا تَزَالُ مُهِمَّةً لِتَقنِينِ الوَضعِ. وَيَتَّضِحُ أَنَّ كُلَّ المُتَطَرِّفِينَ جَاؤُوا مِنَ المَنَاطِقِ الرِّيفِيَّةِ الأَكثَرِ فَقرًا فِي البِلَادِ، وَلَم يَكُونُوا قَد نَالُوا حَظًّا جَيِّدًا مِنَ التَّعلِيمِ، وَقَدِ التَحَقُوا بِالجَمَاعَاتِ الإِرهَابِيَّةِ فِي سُوريَا نَتِيجَةً لِلوُعُودِ المِثَالِيَّةِ الَّتِي تَلَقَّوهَا وَصَدَّقُوهَا مِن خِلَالِ إِعطَائِهِم الأَرَاضِي وَالمَنَازِلَ وَالأَموَالَ.

الأَنشِطَةُ الإِرهَابِيَّةُ كَانَت عِبَارَةً عَن نَوعٍ مِنَ القِتَالِ، وَتَجنِيدِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَقَوا عَلَى قَيدِ الحَيَاةِ مِنَ الحَربِ أَوِ الَّذِينَ التَحَقُوا بِالحَربِ، وَلَكِن فِي الوَاقِعِ هَؤُلَاءِ قَد تَمَّ سَجنُهُم، وَالآنَ يُوَاجِهُونَ العَدَالَةَ. القَانُونُ الجِنَائِيُّ تَمَّ تَنفِيذُهُ عَلَى نَحوٍ صَحِيحٍ، وَلَكِن فِي نَفسِ الوَقتِ فَإِنَّ المَخَاطِرَ الاجتِمَاعِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ هِيَ الجَانِبُ الآخَرُ مِنَ العُملَةِ، فَإِذَا وُفِّقنَا فِي مُعَالَجَةِ التَّخفِيفِ مِن حِدَّةِ الفَقرِ وَأَخفَقنَا فِي تَعزِيزِ التَّعلِيمِ فِي المَنَاطِقِ وَالأَمَاكِنِ الَّتِي جَاءَ مِنهَا هَؤُلَاءِ المُجَنَّدِينَ، فَإِنَّ تِلكَ النَّمَاذِجَ وَاحتِمَالَ بَقَائِهَا سَوفَ يَكُونُ مُرتَفِعًا.

إِنَّ التِزَامَ القَادَةِ وَمُمَثِّلِي الدِّيَانَاتِ، وَالتِزَامَ الدَّولَةِ فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَّاتِ التَّعلِيمِيَّةِ وَالاجتِمَاعِيَّةِ وَالاقتِصَادِيَّةِ لَا تَزَالُ إِحدَى الأَولَوِيَّاتِ.

ألبَانيَا فِي الوَاقِعِ هِيَ عُضوٌ فِي حِلفِ شَمَالِ الأَطلَسِيِّ، وَهِيَ قَدِ اقتَرَحَت تَأسِيسَ مَركَزٍ لِمُوَاجَهَةِ الإِرهَابِ فِي ألبَانيَا، وَمِنَ المُدهِشِ أَنَّ بَعضَ البُلدَانِ فِي المِنطَقَةِ لَدَينَا قَد رَفَضَت تَأسِيسَ هَذَا المَركَزِ. وَعَلَى الجَانِبِ الآخَرِ - لِلأَسَفِ- فَإِنَّ وُجُودَ هَؤُلَاءِ المُجَنَّدِينَ مِنَ الإِرهَابِيِّينَ سَيَعتَمِدُونَ عَلَى الأُسُسِ الإِثنِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ مَعَ تَأصِيلٍ وَنَشرِ المَفَاهِيمِ المَغلُوطَةِ حَولَ الدِّيَانَاتِ، وَلِذَلِكَ كَانَت مَصدَرًا جَيِّدًا لِتَعزِيزِ الإِسلَاموفُوبيَا وَالخِلَافَاتِ الإِثنِيَّةِ.

بِالنِّسبَةِ لِهَؤُلَاءِ المُتَطَرِّفِينَ فِي الفِكرِ الوَطَنِيِّ قَد قَدَّمُوا أَحَدَ الشِّعَارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ القَوِيَّةِ فِي بُلدَانِهِم، وَاليَومَ تِلكَ العَنَاصِرُ الإِرهَابِيَّةُ إِمَّا أَن يَتِمَّ استِئصَالُهَا، أَو يَتِمَّ سَجنُهَا؛ لِأَنَّهُ مِنَ الصَّعبِ أَن نُوَافِقَ عَلَى وُجُودِ مُدرَكَاتٍ وَمَفَاهِيمَ تُبنَى عَلَى العَدَاءِ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الإِرهَابَ وَتَجمِيعَ تِلكَ الحُشُودِ فِي جَمَاعَاتٍ هِيَ أَحَدُ أَوجُهِ الإِرهَابِ وَالتَّطَرُّفِ، وَيَنتَهِي فِي النِّهَايَةِ إِلَى الشِّقَاقِ الاجتِمَاعِيِّ، وَتَعمَلُ عَلَى تَعزِيزِ الخَوفِ نَتِيجَةً لِلصُّعُوبَاتِ الاقتِصَادِيَّةِ وَالكَرَاهِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالعِرقِيَّةِ، أَو فِيمَا بَينَ النَّاسِ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ الإِرهَابَ وَالتَّطَرُّفَ يَستَفِيدَانِ مِن بَعضِهِمَا بَعضًا.

أَنَا أَعتَقِدُ أَنَّ الاحتِرَامَ وَالتَّفَاهُمَ المُشتَرَكَ فِيمَا بَينَ الثَّقَافَاتِ، وَالتَّعَايُشَ وَالتَّفَاعُلَ المُشتَرَكَ أُمُورٌ مُهِمَّةٌ لِعَزلِ التَّطَرُّفِ وَتَكوِينِ الجَمَاعَاتِ بِأَيِّ شَكلٍ مِنَ الأَشكَالِ، وَهَذَا هُوَ أَفضَلُ أُسلُوبٍ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا التَّحَدِّي وَالتَّغَلُّبِ عَلَيهِ وَإِنقَاذِ هَؤُلَاءِ.

نَحنُ نُؤمِنُ بِقُوَّةِ التَّآلُفِ، وَأَهَمِّيَّةِ التُّرَاثِ الثَّقَافِيِّ، وَأَفضَلِ المُمَارَسَاتِ وَالتَّجَارُبِ، وَيُمكِنُ أَن نُعَوِّلَ عَلَى روحِ الجَمَاعَةِ فِي مَا بَينَ النَّاسِ، وَأَنَا أُؤمِنُ إِيمَانًا قَوِيًّا بِأَنَّ هَذَا المُؤتَمَرَ سَوفَ يُسَاعِدُنَا كَثِيرًا لَيسَ فَقَط فِي تَبَادُلِ الأَفكَارِ وَالخِبرَاتِ؛ وَلَكِن - أَيضًا - لِتَحفِيزِ إِطلَاقِ مَزِيدٍ مِنَ الأَفكَارِ.

وَالأَشخَاصُ وَالأَكَادِيمِيُّون وَرِجَالُ الدِّينِ الَّذِينَ اجتَمَعُوا فِي هَذَا المُنتَدَى سَوفَ يُلهِمُونَنَا بِمَزِيدٍ مِنَ الأَفكَارِ الجَدِيدَةِ، وَخَلقِ جِيلٍ جَدِيدٍ يَعتَمِدُ عَلَى التَّفَاهُمِ وَاحتِرَامِ الآخَرِ.